الإتباع في اللغة

للدكتور علي حسن البواب
كلية اللغة العربية – الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد الأنبياء والمرسلين، وبعد،

فللعربية كثير من الخصائص اللغوية، وللعرب أساليب لتقوية الكلام وتوكيده وتزيينه، وعبارات تدّل على الفصاحة، وتنمّ عن البلاغة والبراعة، من ذلك ما عرف بـ (الإتباع)، وهو من سنن العرب في كلامهم، وممّا أثر عنهم، وفي هذا البحث حديث عن هذه الظاهرة اللغوية:

الإتباع لغة واصطلاحاً:

تدل مادة "تبع" في اللغة على التُّلُوّ والقَفْو، يقال: تبع فلان فلاناً، يتبَعه، تَبَعاً، وتَباعة، وتُبوعاً، وتَباعاً: مشى خلفه وسار في إثره، وتلاه. ويقال: تابعه، وتتبّعه، واتّبعه. والتابع والتبيع: التالي للشيء، الموالي له[1].

وورد هذا الأصل ومشتقّاته في القرآن الكريم في مواضع كثيرة: قال الله تعالى: ((فمن تَبع هُداي))[2] وقال عزّ وجل: ((يا قوم اتَّبِعوا المُرسلين))[3]، وقال:

(١) ينظر الصحاح، والمقاييس، واللسان، والمفردات – تبع.
(٢) سورة البقرة: ٣٨.
(٣) سورة يس: ٢٠.

((وما أنت بتابعٍ قبلَتهم))[٤]، وقال: ((إنّا لكم تَبَعاً))[٥] وقال: ((ثُمَّ لا تَجِدوا لكم علينا به تَبيعاً))[٦].

فالإتباع في اللغة: مصدر أتبع الشيء الشيءَ: ألحقه به وجعله تالياً له. أما في الاصطلاح فأوضح تعريف له ما ذكره أحمد بن فارس: "وهو أن تُتْبَعَ الكلمة الكلمة على وزنها أو رويّها إشباعاً وتوكيداً"[٧]. ومن ذلك: حَسَن بَسَن، وقَسيم وسيم، وشيطان ليطان.

أما الغرض من استعماله فيتّضح فيما رواه ابن الأعرابي، أنّه سأل العرب عن الإتباع فقالوا: "هو شيء نَتِد به كلامنا"[٨] "أي: نشدّه ونقوّيه".

وقال الآمدي: "التابع لا يفيد معنى أصلاً، ولهذا قال ابن دريد:[٩] سألت أبا حاتم عن معنى "بَسَن"[١٠] فقال: لا أدري ما هو. قال السبكي: والتحقيق أن التابع يفيد التقوية؛ فإنّ العرب لا تضعه سدى، وجهل أبي حاتم بمعناه لا يضرّ، بل مقتضى قوله إنه لا يدري – معناه أنّ له معنى وهو لا يعرفه".[١١]

وقال الرضي الأستراباذي عن الإتباع: "وهو على ثلاثة أضرب: فإنّه إمّا أن يكون للثاني معنى ظاهر، نحو: هنيئاً مريئاً، وهو سرير، أو لا يكون له معنى

---

(٤) سورة البقرة: ١٤٥.

(٥) سورة إبراهيم: ٢١.

(٦) سورة الإسراء: ٦٩.

(٧) الصاحبي: ٤٥٨.

(٨) ينظر الأمالي لثعلب: ٨/١، والصاحبي ٤٥٨.

(٩) الجمهرة: ٤٢٩/٣.

(١٠) من قولهم "حسن بسن".

(١١) المزهر: ٤١٥/١، ٤١٦، وينظر المحصول للرازي ٣٤٨/١، وشرح الكوكب المنير لابن النجار ١٤٣/١.

أصلاً؛ بل ضُمّ إلى الأول لتزيين الكلام لفظاً، وتقويته معنى، وإن لم يكن له في حال الإفراد معنى، نحو: حَسَن بَسَن قَسَن، أو يكون له معنى متكلّف غير ظاهر، نحو: خبيث نبيث، من نبث الشيء: أي استخرجه".(١٢)

بحث العلماء للإتباع وآراؤهم فيه:

كان لعلماء العربية جهود في دراسة الإتباع – من منطلق عنايتهم بالعربية، وحرصهم على بحث قضاياها وظواهرها، وقد تباينت مواقفهم من الموضوع، واختلفت نظراتهم وآراؤهم فيه، ونذكر هنا أن ألفاظ الإتباع رويت ونقلت عن أئمة العربية وعلمائها، منهم اليزيدي، واللحياني، والأحمر، وأبو مالك عمرو بن كِرْكِرة، وأبو زيد، ويونس، والأصمعي، والخليل، وابن الأعرابي، وأبو عمرو الشيباني، والكسائي، والفراء، وقطرب، وأبو عبيد، وأبو عبيدة، وغيرهم. كما نذكر أن أوائل المؤلفين في العربية عرضوا للإتباع، فمنهم من اقتصر على إيراد ألفاظه أو أشار إليه دون تقعيد أو تحديد، ومنهم من خصّه بمباحث وأبواب، وقليل منهم من أفرد له كتباً.

ونتحدث فيما يلي عن جهود علماء العربية على اختلاف اتجاهاتهم ونظرتهم للإتباع، نتبيّن دورهم في بحثه وآراءهم فيه:

ففي كتاب "العين" للخليل بن أحمد – وهو من أقدم المؤلفات اللغوية – تتناثر ألفاظ الإتباع، يعلّق الخليل على بعضها مشيراً إلى شيء من ملامح الباب، وينقل بعضها دون تعليق: قال: "والنُّوع: الجوع، ويقال: العطش، وبالعطش أشبه لقول العرب: عليه الجوع والنوع، وجائع نائع، ولو كان الجوع نوعاً لم يحسن تكريره. وقال آخر: إذا اختلف اللفظان كرروا المعنى واحد".(١٣)

---

(١٢) شرح الكافية: ٣٣٣/١.

(١٣) العين: ٢٥٧/٢.

وقال: "وتقول: حيّاك الله وبيّاك، أي: أفرحك وأضحكك، ويقال: بيّاك تقوية لحيّاك".(١٤) ونقل: "ورجل حَوّاس عوّاس: طلّاب بالليل".(١٥)

وفي "الكتاب" إشارات إلى بعض مسائل الإتباع، قال سيبويه: "وهذا حرف لا يُتكلّم به مفرداً إلا أن يكون على "ويلك، وهو قولك: ويلك وعولك، ولا يجوز: عولك".(١٦)

وقال: "ولا تقول: عَوْلَةٌ لك إلّا أن يكون قبلها: ويلة لك، ولا تقول: عول لك حتى تقول: ويل لك؛ لأن ذا يتبع ذا، كما أنّ ينوؤك يتبع يسوؤك، ولا يكون يسوؤك مبتدأ".(١٧)

ونلمح من كلام سيبويه الإشارة إلى الإتباع، وأنّه لا يفرد، بل يكون ملحقاً بما قبله متّصلاً به.

ونخطو خطوات لنصل إلى أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي المتوفّى سنة ٢٢٣هـ، وهو من أئمة العربية، فنجده يقدم مباحث جيدة في موضوعنا هذا.

ففي معجمه القيّم "الغريب المصنّف" يقعد أبو عبيد باباً للإتباع، ينقل فيه أمثلة إتباعية عن أبي زيد، والكسائي، والفراء وغيرهم، منها: "أحمق فاكّ تاكّ،

---

(١٤) المصدر السابق: ٣١٨/٣.

(١٥) المصدر نفسه: ٢٧٠/٣.

(١٦) الكتاب: ١٦٠/١.

(١٧) المصدر السابق: ١٦٧/١.

وضالّ بالّ، وما له عافطة ولا نافطة، يقول: العافطة: العنز تعفط، تضرط، والنافطة إتباع.....[١٨]

وفي كتابه "غريب الحديث" يتعرض للموضوع، ونراه وهو ينقل الحديث عن "الشبْرُم"[١٩]: (إنه حارّ جارّ) يقول: "وبعض الناس يروونه (حارّ يارّ) وهو أكثر" ثم قال: "وقال الكسائي وغيره: الحرّ من الحرارة، ويارّ إتباع، كقولهم: عطشان نطشان، وجائع نائع، وحسن بسن، ومثله كثير في الكلام، وإنما سمّي إتباعاً لأن الكلمة الثانية إنما هي تابعة للأولى على وجه التوكيد لها، وليس يتكلّم بها منفردة، فلهذا قيل: إتباع".[٢٠]

وقال: "وقال بعض الناس في (بيّاك) [٢١] إنما هو إتباع، وهو عندي على ما جاء تفسيره في الحديث أنه ليس بإتباع، ذلك أنّ الإتباع لا يكاد يكون بالواو، وهذا بالواو".[٢٢]

وفي موضع آخر من الكتاب – في حديث العباس وابنه عبدالله – رحمهما الله– في زمزم: (لا أحلّها لمغتسل، وهي لشارب حِلّ وبِلّ) قال: "فأما قولهم (بلّ) فإن الأصمعي قال: كنت أقول في (بَل) إنه إتباع كقولهم: عطشان نطشان، وجائع نائع،

---

(١٨) الغريب المصنف من أقدم وأحسن معجمات المعاني، ولا يزال مخطوطاً على كثرة نسخه، وقد رجعت إلى نسخة مصورة في مكتبة جامعة الإمام – ف ٣٢٤، وهي غير مرقّمة الصفحات، والباب باختصار في المزهر ٤١٩/١.

(١٩) وهو حَبّ كالعدس – القاموس – شبرم.

(٢٠) غريب الحديث: ٢٧٨/٢.

(٢١) أي في (حيّاك الله وبيّاك).

(٢٢) غريب الحديث: ٢٨٠/٢.

حتى أخبرني معتمر بن سليمان[٢٣] أنّ (بِلا) في لغة حمير: مباح. قال أبو عبيد: وهو عندي على ما قاله؛ لأنّا قلّ ما وجدنا الإتباع يكون بواو العطف، وإنما الإتباع بغير واو، كقولهم: جائع نائع، وعطشان نطشان، وحسن بسن، وأشباه ذلك إنما يتكلّم به من غير واو، فإذا جاءت واو العطف فهي من كلمة أخرى".

قال: "وقد كان بعض النحويين يقول في حديث آدم عليه السلام، إنّه لما قتل أحد ابنيه أخاه، فمكث مائة سنة لا يضحك، ثم قيل له: (حيّاك الله وبيّاك) قال: وما بيّاك؟ قال: أضحكك، يبيّن لك أنه ليس بإتباع، إنما هي كلمة أخرى. قال: ويقال: إنّ بلّا شفاء، كما يقال: قد بلّ الرجل من مرضه واستبلّ، إذ برأ".[٢٤]

ويلحظ هنا عناية أبي عبيد ومن نقل عنهم بالموضوع، وأن الإتباع مقيّد بكون الكلمة الثانية لا يتكلّم بها مفردة، وأن لا يكون بين الكلمتين واو عطف، فإن كان للثانية معنى وتفرد في الكلام، أو كان بينهما الواو فليس بإتباع.

وإذا انتقلنا إلى القرن الرابع الهجري – عصر الازدهار اللغوي– وجدنا المبحث ينال من الدراسة نصيباً، ويلتفت إليه علماء العصر والمؤلفون.

فأبو إسحق الزجاج المتوفّى سنة ٣١١هـ – له رأي في الإتباع نقله عنه ابن سيده، يتلخّص في أنّ اللفظة لا تعدّ إتباعاً إلّا إذا كانت مما لا يفرد في الكلام ولا يفصل، وهذا لا يختلف عمّا نقلنا آنفاً عن علماء العربية:

قال أبو إسحق في (قسيم وسيم): "ليس وسيم" إتباعا لـ "قسيم" كما أن قولهم (مليح صبيح) ليس صبيح إتباعاً لمليح، وإنما يكون اللفظ مقضيّاً عليه بالإتباع إذا لم يكن يفصل، كقولهم: (عطشان نطشان) فنطشان لا يفصل من عطشان، ولذلك

---

(٢٣) توفي سنة ١٨٧هـ، كان محدّث عصره، من كبار العلماء وثقاتهم، ينظر سير أعلام النبلاء: ٨/٤٢٠.

(٢٤) غريب الحديث: ٤/٢٦-٢٩.

قيل في نحو هذا إتباع، لأنه لا معنى له إذا جيء به وحده، فأما وسيم فقد جاء دون قسيم"[٢٥].

وقال في (مضيع مسيع، وضائع سائع): "ليس مسيع إتباعاً لمضيع، ولا سائغ إتباعاً لضائع، فإنهم يقولون: ضاعت الناقة وساعت، وناقة مضياع ومسياع، وقد ساعت تسوع، إنما غرّ من قال إنّه إتباع قولهم: مسياع، وأصله من الواو، فتوهّموا أنهم قلبوها ياءً إتباعاً لمضياع، كيف وهم يقولون: مسياع مضياع، فيقدمون مسياعاً على مضياع".[٢٦]

فالإتباع عنده ما كان لتقوية المعنى ولا يفصل عن متبوعه، وهو أحد الأقوال في الباب.

ودلا أبو بكر بن دريد الأزدي – توفيّ سنة ٣٢١هـ – بلدوه مع الباحثين في أمثلة إتباعية، وقال بعد نقل عدد منها: "فهذه الحروف إتباع لا تفرد" ثم قال: "وتجيء أشياء يمكن أن تفرد". فهو لا يشترط أن تكون الألفاظ الإتباعية مما يجب عدم إفراده، وإن كان ذلك هو الأكثر عنده وفيما أورد من الأمثلة. كما أن في ثنايا الجمهرة أمثلة للإتباع.[٢٨]

وفي آخر مخطوطة "الإتباع والمزاوجة" لابن فارس نقل ناسخها عن ابن دريد":[٢٩] أن من كلامهم الإتباع والمزاوجة والقلب والإبدال: فالإتباع يكون بلا واسطة ولا حرف، كقولهم: (حسن بسن) ونحوه، والمزاوجة بالحرف كقولهم: (هان

---

(٢٥) المخصص: ١٤/٣٠.

(٢٦) المصدر السابق: ١٤/٣١.

(٢٧) الجمهرة: ٣/٤٢٩-٤٣١.

(٢٨) ينظر الجمهرة: ١/٢٩٢، ٣٠١، ٣/٢٠٨.

(٢٩) في تشتربيتي – رقم ٤٦٢٤، كتبت سنة ٦٢٧هـ.

ولان)، وهذا الرأي موافق لما نقلنا قريباً عن أبي عبيد من اشتراطه أن يكون الإتباع بغير الواو.

وفي "الأمالي" لأبي علي القالي المتوفى سنة ٣٥٦هـ – باب واسع للإتباع، أورد فيه أمثلة كثيرة من ألفاظه، وقام بتفسيرها وشرحها:(٣٠)

بدأ أبو علي الباب بقوله: "الإتباع على ضربين: فضرب يكون فيه الثاني بمعنى الأول فيؤتى به تأكيداً، لأن لفظه مخالف للفظ الأول. وضرب فيه معنى الثاني غير معنى الأول".(٣١)

قال: "فمن الإتباع قولهم: أسوان أتوان في الحزن، وأسوان من قولهم: أسِيَ الرجلُ يأسَى، أسىً: إذا حزن، ورجل أسيان وأسوان، أي حزين. وأتوان: من قولهم: أتَوْته، آتُوه: بمعنى أتيْته آتيه، وهي لغة لهذيل... فمعنى قولهم: أسوان أتوان: حزين متردّد، يذهب ويجيء من شدّة الحزن".(٣٢) "ويقولون: عطشان نطشان، فنطشان: مأخوذ من قولهم: ما به نَطيش: أي ما به حركة، فمعناه: عطشان قلق".(٣٣)

وقال: "ويقولون: شيطان ليطان، فليطان مأخوذ من قولهم: لاط حبُّه بقلبي، يلوط ويليط: أي لصق... فمعنى شيطان ليطان: شيطان لصوق..."(٣٤).

---

(٣٠) الأمالي ٢/٢١١-٢٢٢. وقد نقل ابن سيده في المخصص ١٤/٢٨-٣٧ الباب عن القالي، ولم يشر إلى مصدره، وأضاف رأي الزجاج الذي نلقناه قريباً، كما نقل – ص٣٨ عن الجمهرة.

(٣١) الأمالي: ٢/٢١١.

(٣٢) المصدر السابق: ٢/٢١١.

(٣٣) المصدر نفسه: ٢/٢١٢.

(٣٤) المصدر والصفحة السابقة.

فهذه أمثلة مما فسّر فيه القالي الثاني بمعنى مغاير للأول، وهو إتباع – وإن كان له معنى. وممّا فسر فيه أبو علي الثاني بمعنى الأول:

"ويقولون" كثير بثير، فالبثير هو الكثير، مأخوذ من قولهم: ماء بَثْر: أي كثير، فقالوا: بثير لموضع كثير".[٣٥]

وقال: "ويقولون: ضئيل بئيل، فالبئيل هو الضئيل. قال أبو زيد: بَؤُل الرجل بآلة: إذا ضؤل".[٣٦] ومنه: "ويقولون: عَكّ وأكّ، فالعَكّ والعَكّة والعَكيك: شدة الحرّ. والأك والأكّة: الحرّ المحتدم. يقال: يوم ذو أكّ..."[٣٧].

وقال: "ويقال: إنّه لمُعْفِت مُلْفِت، فالمعفت الذي يُعفت الشيء: أي يدقّه ويكسره، ويقال: عفت عظمه: إذا كسره، والملفت مثله في المعنى..."[٣٨].

فالمبحث قيّم عند القالي، لم يقتصر فيه المؤلّف على عرض الأمثلة – ككثير من العلماء، بل تجاوز ذلك إلى تفسير الألفاظ، وهو يبيّن إن كان الثاني بمعنى الأول أو مخالفاً له، والأول سمّاه العلماء توكيداً، وهو موافق لهم في ذلك، إلا أنّ التأكيد عنده من الإتباع.

وكان أبو الطيب اللغوي – عبدالواحد بن علي الحلبي– توفي سنة ٣٥١هـ – ثاني عالمين ألفا في الإتباع[٣٩] فيما وصلنا – وخصّاه بكتابين مستقلين:[٤٠]

---

(٣٥) المصدر السابق: ٢/٢١٤.

(٣٦) المصدر والصفحة نفسها.

(٣٧) المصدر نفسه: ٢/٢١٩.

(٣٨) المصدر نفسه: ٢/٢٢٢.

(٣٩) حقّق المرحوم عزّ الدين التنوخي الكتاب عن نسخة فريدة تنقص جزءاً من المقدمة، وقدّم له بمقدمة نافعة، وشرح ألفاظه، وعلّق عليه تعليقات قيمة، وجمع في آخره عدداً من ألفاظ الإتباع.

حدّ أبو الطيب الإتباع: بما لا يصحّ أن يفرد وحده. فإذا كان للفظ معنى لكنّه لا يُفرد، أو لم يكن له معنى فهو الإتباع، أما إذا كان له معنى بحيث يمكن إفراده فلا يرد عنده في الإتباع، وهو إلى جانب ذلك لا يعتدّ بالواو، فسواء أكانت الكلمة بالواو أم بغيرها – فهي إتباع إن توافر فيها ما سبق، قال في الجزء الموجود من المقدمة: "يقولون: هذا جائع نائع، فهو عندهم إتباع، ثم يقولون في الدعاء على الإنسان: جوعا ونوعا: فيدخلون الواو، وهو مع ذلك إتباع، إذ كان مُحالاً أن تكون الكلمة مرة إتباعاً ومرة غير إتباع، فقد وضح أن الاعتبار ليس بالواو".(٤١)

رتّب أبو الطيب الكتاب على حروف المعجم، مراعياً أصول حروف الإتباع، فـ: بسلاً أسلا – في الهمزة، و: لحمه خظا بظا– في الباء، وإنه لسَهْد مهد – في الميم... وهو يقسّم ألفاظ كلّ حرف قسمين: باب الإتباع من الحرف، وباب التوكيد منه، فهو يفصل بين الإتباع والتوكيد فصلاً واضحاً ويجعل لكلٍّ سماتِه كما سنرى:

فمن الإتباع: "تقول العرب في صفة الشيء بالشدة: إنه لشديد أديد، وهو من الأدّ، والأدُّ: القوة، إلّا أنّ الأديد لا يفرد".(٤٢)

"ويقال: شحيح أنيح، من قولهم: أنَح بحمله، يأنَح، أنوحاً: إذا تزحّر(٤٣) به من ثقله، ولا يفرد الأنيح"(٤٤). ومنه: "ويقال: مكان عمير بجير، فالعمير من العمارة، فعيل بمعنى مفعول، وبجير إتباع".(٤٥)

---

(٤٠) والكتاب الثاني لابن فارس – سيأتي– وقد ذكر ابن النديم في الفهرست ٦٤ أن لأبي حاتم كتاباً في الإتباع.

(٤١) الإتباع: ٣.

(٤٢) المصدر السابق: ٤.

(٤٣) تزحّر كزحر: أصدر أنيناً.

(٤٤) الإتباع: ٧.

(٤٥) المصدر السابق: ٢٠.

ومنه: "تقول العرب: لا بارك الله فيه ولا تارك، ولا يقولونه إلّا هكذا، فهو وإن كان مأخوذاً من الترك فلا معنى له في هذا الموضع إلا الإتباع".(٤٦)

وأورد في الكتاب: "ويقال: قضى الله كلّ حاجة وداجة بالتخفيف، وقد أقبل الحاجّ والداجّ بالتشديد، وزعموا أنّ الداجّ الذين يدجّون خلف الحاج، أي يدبّون بالتجارات وغيرها، ولا يفرد الداجّ".(٤٧) وفي الكتاب: "وقال أبو عمرو: يقال: رجل طَبّ لَبّ، وهو العالم، واللبّ من قولك: رجل لبيب، واللبيب: العاقل، إلا أنه لا يقال رجل لبّ مفرداً، فلذلك جعلناه من الإتباع".(٤٨)

ومما ذكره في الإتباع: "يقال: هو قبيح شقيح، بيّن القباحة والشقاحة، وقد قبح وشقح، وهو من قولهم: شقّح البسر، يشقح، تشقيحاً: إذا تغيرت خضرته ليحمر أو ليصفرّ، وهو أقبح ما يكون حينئذ، ولا يستعمل شقيح إلا في هذا الموضع، فلهذا ذكرناه في الإتباع... وأما قولهم: اذهب مقبوحا مشقوحا فمعناه: مكسوراً، ويقال: قبحته، أقبحه، قبحاً: أي كسرته، وكذلك: شقحته، أشقحه، شقحاً، وهذا من التوكيد لا من الإتباع".(٤٩)

وإذا انتقلنا إلى القسم الثاني عنده – وهو التأكيد– وجدناه يورد فيه: "يقال: فرّ وله كَصيص وأصيص وبَصيص من الفزع، وكلّه بمعنى الصوت الضعيف".(٥٠)

وفيه: "وقال الفراء: يقال: رجل صيّاح تيّاح، قال: والتياح والصياح واحد".(٥١)

---

(٤٦) المصدر نفسه: ٢٨.

(٤٧) المصدر نفسه: ٤١.

(٤٨) المصدر نفسه: ٧٧.

(٤٩) المصدر نفسه: ٥٥–٥٧.

(٥٠) المصدر نفسه: ٢١.

(٥١) المصدر نفسه: ٣٣.

وفي توضيح الفرق بين الإتباع والتوكيد نذكر قوله: "ويقال في الدعاء على الرجل: جُوعا له وجُودا وجُوسا، فالجود هو الجوع بعينه، وقولهم: جوسا إتباع، هذا قول، وقد قيل: الجوس: الجوع أيضاً، فإن كان هذا ثبتاً فهو من التوكيد لا من الإتباع".(٥٢)

ومن التوكيد الذي أوله راء: "ويقال: ضبّ سِبَحْل رِبَحْل، وكلاهما الطويل الضخم، وكذلك فحل سِبَحْل رِبَحْل".(٥٣)

وذكر في التوكيد: "إنه لطبيب لبيب".(٥٤)

وهكذا فمناط التفرقة بين الإتباع والتوكيد مبني على إمكان إفراد الثاني أو عدمه، فالإتباع ما لا يفرد، فإن صحّ إفراده كان توكيداً، ولا اعتداد بغير هذا القيد عند أبي الطيب.

أما العالم الثاني الذي ألّف كتاباً في الإتباع فهو أبو الحسين أحمد بن فارس – توفي سنة ٣٩٥هـ قد سمّى كتابه الإتباع والمزاوجة"(٥٥). وقبل الحديث عن الكتاب نشير إلى بعض الملحوظات عليه: فالمؤلف لم يعرّف الإتباع أو المزاوجة، ولم يذكر الفرق بينهما، وكان يورد العبارات مختلطة كما سنرى، وابن فارس هو الذي نقلنا عنه في أول البحث تعريفه للإتباع من كتابه الصاحبي.

وقد رتب ابن فارس الكتاب على حروف المعجم، من باب الياء إلى حروف العلة، ولكنه راعى آخر الحرف من لفظ الإتباع لا أوله كما عند أبي الطيب، فتركت فلاناً سادحاً رادحاً – في الحاء، وسدمان ندمان في الميم...

---

(٥٢) المصدر نفسه: ٣٥.

(٥٣) المصدر نفسه: ٤٩.

(٥٤) المصدر نفسه: ٨٢.

(٥٥) اعتمدت هنا على الطبعة التي صدرت سنة ١٩٤٧م بعناية كمال مصطفى.

بدأ ابن فارس الكتاب بقوله: "هذا كتاب الإتباع والمزاوجة، وكلاهما على وجهين: أحدهما أن تكون كلمتان متواليتان على رويّ واحد، والوجه الآخر أن يختلف الرويّان ثم تكون بعد ذلك وجهين: أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف إلا أنها كالإتباع لما قبلها، والآخر أن تكون الثانية غير واضحة المعنى ولا بنية الاشتقاق".(٥٦)

وممّا نصّ على أنه إتباع: "يقال: ثَعْد معد: إذا كان غضّاً ، مَعْد إتباع".(٥٧)

وقال: "ويقولون: تاعس واعس، من التعس، وقد يقال: ناعس واعس، من النعاس، والواعس إتباع".(٥٨) ومنه: "ويقال: هو عَييّ شييّ، وما أعياه وأشياه، وكان من عيّ وشي، فالعي معروف والشيّ إتباع".(٥٩)

ومما ذكره ابن فارس: "ويقال: خَراب يَباب، وقد يفرد اليَباب، قال عمر بن أبي ربيعة:

كَسَتِ الرياحُ جديدَها من تُربها دُقَقاً، وأصبحت العِراص يَباب

فهذا إتباع إلا أنه أفرده"(٦٠).

ومما أشار فيه ابن فارس إلى "التوكيد" ما نقله عن الأصمعي: "لا آتيك سجيس عجيس، أي الدهر، وسجيسه: آخره، ومنه قيل للماء الكدر: سجيس، لأنه آخر ما يبقى والعجيس تأكيد، وهو في معنى الآخر".(٦١)

---

(٥٦) الإتباع والمزاوجة: ٢٨.

(٥٧) المصدر السابق: ٤٠.

(٥٨) المصدر السابق: ٤٩.

(٥٩) المصدر السابق: ٦٩.

(٦٠) المصدر نفسه: ٢٩.

(٦١) المصدر نفسه: ٤٩.

ويتضح أنه يغلب على الإتباع عنده ما لا يفرد التابع، أو ما يكون له معنى مختلف عن المتبوع، أما إن وافقه فهو توكيد.

ونقل ابن فارس في الكتاب أمثله للمزاوجة وأمثالاً للعرب، وغير ذلك:

قال: "ومن المزاوج" ما له هارب ولا قارب"، أي ما له صادر عن الماء ولا وارد، ومنه قولهم عند المبالغة: "لا شوب ولا روب، ولا شيب ولا عيب".(٦٢)

"ومن المزاوج قولهم: "نعوذ بالله من التَّرَح بعد الفرح "الترح: التنغيص".(٦٣)

"ومن المزاوجة قولهم فيمن ينفع مرة ويضر مرة: "هو جيش مرة وعيش مرة".(٦٤)

"ويقولون في أسجاعهم: "من شاخ باخ"(٦٥).

"ومن الأسجاع – وليس من الباب– ما عنده خير ولا مير".(٦٦)

وهكذا يمتلئ كتاب ابن فارس بالعبارات التي ينص أحياناً على كونها إتباعاً أو مزاوجة، ويسكت في أكثر الأحيان.

وقد ذكر السيوطي في المزهر الكتاب وقال: "وفاته أكثر ممّا ذكره، وقد اختصرت تأليفه وزدت عليه ما فاته في تأليف لطيف سمّيته "الإلماع في الإتباع".(٦٧) ولا نعرف شيئاً عن كتاب"الإلماع"، رغم عناية الباحثين كثيراً بمؤلفات السيوطي ومحاولات حصرها. وقد أورد السيوطي في المزهر ألفاظاً من الإلماع،

---

(٦٢) المصدر نفسه: ٣١.

(٦٣) المصدر نفسه: ٣٦

(٦٤) المصدر نفسه: ٥١.

(٦٥) المصدر نفسه: ٣٨.

(٦٦) المصدر نفسه: ٤٣.

(٦٧) المزهر: ١/٤١٤.

يبدو منها أنه جرد الكتاب مما ليس إتباعاً، كالمزاوجة، والأمثال والأسجاع وغيرها، واقتصر على ما شاع بين العلماء أنه إتباع.(٦٨)

ولا نجد بعد القرن الرابع عملاً مميزاً في بحث الموضوع، ولم يزد المتأخرون شيئاً ذا بال إلى الموضوع، وأحسن ما يذكر في هذا المجال ما قدّمه السيوطي في المزهر، فقد جعل النوع الثامن والعشرين من أنواع اللغة للإتباع(٧٠)، نقل فيه كدأبه من الكتاب – آراء العلماء في الموضوع، وأمثلة إتباعية عن عدد من المراجع، إضافة إلى تأليفه "الإلماع" كما مرّ.

الخلاصة ومعالم الإتباع:

رأينا فيما سبق عناية علماء العربية بالإتباع واهتمامهم به، وقد اتّفقوا على أن الإتباع أن تلي الكلمةُ كلمة أخرى، وأنّ الغرض منه تقوية الكلام وتوكيده، ولكنهم اختلفوا في معالمه وقيوده: منهم من يشترط في التابع ألّا يكون ممّا يفرد في الكلام، أو ممّا لا معنى له، أو له معنى متكلّف، ومنهم من لا يشترط ذلك ويعدّ اللفظ إتباعاً ولو صحّ إفراده وأمكن فصله عن المتبوع، أو كان له معنى بيّن، ثم إنّ من العلماء من حاول إخراج ما عُطف بالواو، وأكثرهم لم يلتفت إلى ذلك.

---

(٦٨) ما ذكرنا يمثل جهود أشهر علماء العربية في بحث الموضوع، ومن كان لهم دور بارز في درسه، وقد نقل كثرة من العلماء في تلك الفترة ألفاظاً إتباعية، من ذلك ما نجده في: التقفية للبندنيجي، والزاهر لابن الأنباري، وديوان الأدب للفارابي، وتهذيب اللغة للأزهري والصحاح، المقاييس، وغيرها. أما بعد القرن الرابع فنجد الثعالبي ينقل عبارات الصاحبي، وابن سيده كما سبق – نقل كلام القالي وابن دريد، ثم نلحظ بعد ذلك تناثر العبارات الإتباعية في كتب الأمثال كمجمع الأمثال، والمستقصى، ومعجمات العربية كاللسان والتاج.

(٧٠) المزهر ١/٤١٤-٤٢٥.

وللإتباع – سواء أخذنا برأي المقيّدين أم برأي المتوسعين فيه – صور وأشكال يَرد عليها، فقد يكون التابع اسماً، أو فعلاً، أو جملة:

يقال: "بَسْلاً له وأسْلا، أي حرام محرم."[٧١]

ويقولون: "إنه لجميل بكيل".[٧٢]

وقالوا: "رجل حاذق باذق".[٧٣]

ومن أمثلة الإتباع غير الاسمية قولهم: حَظِيَتْ المرأة عند زوجها وبَظِيت".[٧٤]

ويقال: "أرْغَمَه الله وأدْغَمه".[٧٥]

وقال أبو زيد: "سمعت بني أسد يقولون: ما يَليق بك الخير وما يَعيق".[٧٦]

والإتباع لا يشترط أن يكون بكلمة واحدة، فقد يكون التابع أكثر من كلمة:

قال أبو مالك: "يقال حارّ يارّ جارّ، ويقال: رجل حرّان يرّان جرّان: إذا أصابته مصيبة".[٧٧]

ويقال في الكثرة: "إنه لكثير بثير بذير عفير، وعمير أيضاً، يوصف بها كلّها الكثرة".[٧٨]

---

(٧١) الإتباع: ٥.

(٧٢) المصدر السابق: ١٣.

(٧٣) المصدر نفسه: ٢٠.

(٧٤) الغريب المصنف، والإتباع: ١٩، والمزهر: ٤١٩/١.

(٧٥) الإتباع: ٤١، والأمالي: ٢١٩/٢.

(٧٦) الإتباع: ٦٣.

(٧٧) المصدر السابق: ٦٢، والأمالي: ٢١٧/٢.

(٧٨) الإتباع: ٦٢.

ويقال: "إنه لَحَسَن بسن قسن وإنه لبيّن الحُسْن والبَسانة والقَسانة".[٧٩]

التابع والمتبوع على وزن واحد:

ذكر بعض العلماء أن التابع يكون على زنة متبوعه، من ذلك ما نقلنا عن ابن فارس من تعريفه الإتباع: "أن تُتْبِع الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها"[٨٠]، وقول الرضي: "ويجب أن يُراعى تجانس اللفظين في باب الإتباع بما يمكن"[٨١]، وقال السبكي: "فالتابع شرطه أن يكون على زنة المتبوع."[٨٢]، وفي شرح الكوكب المنير: وهو – أي التابع- على زنة متبوعه، حتى لو وُجد ما ليس على زنته لم يحكم بأنه من هذا الباب.[٨٣]

والحقيقة أن هذا الشرط أغلبي وليس واجباً، فأكثر ما روي من الأمثلة الإتباعية يصدق عليها هذا القيد – فالتابع على زنة المتبوع ورويّه، ولكن ذلك لا ينفي ورود القليل مما لم يلتزم به ذلك، فمقدمة ابن فارس للإتباع التي نقلناها جاء فيها أن الكلمتين قد تكونان على رويّ واحد أو مختلفتين، وهو مخالف لما حَدّه به في الصاحبي.

فمما ورد في الإتباع غير موافق لمتبوعه زنة ورويّاً، ما جاء في كتاب أبي الطيب: "أعطاه عطاء وَتْحا شَقِنا، ووَتيحا شَقِنا، كلّ ذلك يُوماً به إلى القِلّة"[٨٤].

---

(٧٩) المصدر السابق: ٧١.

(٨٠) الصاحبي: ٤٥٨.

(٨١) شرح الكافية: ٣٣٣/١.

(٨٢) المزهر: ٤١٥/١.

(٨٣) شرح الكوكب المنير: ١٤٥/١.

(٨٤) الإتباع: ٥٨، والجمهرة ٤٣٠/٣، والأمالي ٢١٧/٢.

ويقال "له الويل والأليل، وله الويل والأويل، ولا يُفرد الأليل ولا الأويل في معنى الويل".[٨٥]

وفيه: "يقال في الدعاء على الرجل: جوعاً له وجُوداً وجُوسا، فالجود هو الجوع بعينه، وقولهم: جوسا – إتباع."[٨٦].

وفي الجمهرة – فيما يفرد من الإتباع: "جديد قشيب"، وذكره أبو الطيب في التوكيد. ومثل ذلك كثير من الألفاظ التي نقل أبو الطيب في التوكيد – لا الإتباع– لا يأتي على وزن المؤكد، كقولهم: "قليل حقير" "وقليل نذير"، و"ما به نطيش ولا نويص"[٨٨].

والذي نخلص إليه من هذا أن أكثر أمثلة الإتباع جاءت مطابقة للمتبوع زنة، موافقة له رويّاً.

تغيير الألفاظ لتحقيق الموافقة:

ومن أجل ما سبق من كثرة المطابقة بين التابع والمتبوع فقد حدث تغير في التابع، وهو ما يمكن أن يطلق عليه الضرورات النثرية، وقد عُرف هذا في أقوال العرب وأمثالهم، من ذلك قولهم: "لكلِّ ساقطةٍ لاقطة"، فمما قيل في المثل: أن الأصل: لكل ساقطة لاقط، قال المفضل بن سلمة: "فأدخل الهاء لمكان ساقطة لازدواج الكلام."[٨٩]

---

(٨٥) الإتباع: ٨.

(٨٦) المصدر السابق: ٣٥.

(٨٧) الجمهرة ٣/٤٣٠، والإتباع: ٧٢.

(٨٨) ينظر الإتباع: ٣٩، ٩٩، ١٠٠.

(٨٩) الفاخر ١٠٩.

ومن أمثلة هذا قولهم: "لا دريت ولا تليت، ويروى: ولا ائتليت"، قال المفضل: "ويقال: معناه: لا دريت ولا تلوت، أي: ولا أحسنت أن تتلو، فقلبوا الواو ياء للازدواج".(٩٠) وقالوا: "هو رِجْس نِجْس" قال ابن الأنباري: "الرِجْس: النتن... والنِجْس بمعنى النَّجِس، إنما تكسر نونه إذا جاء بعد رِجْس، فإذا أفرد قيل: نَجِس ولم يقل نِجْس."(٩١)

وذكر الزجاج في "ناقة مِضْياع مِسياع" : "وإنما قالوا: مسياع وأصله مسواع، لأنه من ساع يسوع – على وجهين: إمّا أن يكون معاقبة، وقد سمعنا بناقة مسواع، وإما أن يكون شاذاً".(٩٢)

وفي قولهم "حياك الله وبيّاك" أقوال للعلماء، منها ما نقل عن الأحمر: أراد: بوّأك منزلاً، فقالوا بيّاك لازدواج الكلام ليكون تابعاً لـ: حيّاك، كما قالوا: جاء بالعشايا والغدايا يريدون: بالغدوات، وقالوا الغدايا للازدواج."(٩٣)

وفي شرح الكافية: "ويجب أن يُراعى تجانس اللفظين بما يتمكن، فلهذا قلبوا واو "بَوْص" ياء وأصله: حيص بيص".(٩٤)

وقال القالي: "ويقولون: عَيِيّ شَيِيّ، وشييّ أصله شَوِيّ، لكنه أجرى على لفظ الأول ليكون مثله في البناء".(٩٥)

---

(٩٠) الفاخر ٣٨، وينظر الإتباع: ٣٠.

(٩١) الزاهر ٢١٣/٢، وينظر الإتباع: ٥٨.

(٩٢) المخصص ٣١/١٤.

(٩٣) الفاخر ٢.

(٩٤) شرح الكافية ٣٣٣/١.

(٩٥) الأمالي ٢١٢/٢، وينظر الإتباع ٥٨.

ونقل أبو الطيب عن الفراء: "ويقال: أتيته فمنّاني وهنّاني، غير مهموز، وهو إتباع."[٩٦] والذي يلحظ هنا تسهيل همزة "هنّاني" ليوافق "منّاني".

وقال أبو الطيب: "ويقال: إنه لذو جُود وسُود، فقال قوم: هو إتباع، وقال آخرون: إنما أرادوا به: ذو جود وسُودَد، فأسقطوا إحدى الدالين ليكون على وزن جود".[٩٧]

ومن الإتباع: "كثير بثير" قال القالي: "فالبثير هو الكثير، مأخوذ من قولهم: ماء بثر: أي: كثير، وقالوا بثير لموضع كثير، كما قالوا: مُهرة مَأمورة وسكة مأبورة، وإني لآتية بالغدايا والعشايا."[٩٨]

ونقل أبو الطيب في التوكيد: "ويقال: رجل مليّ وفيّ"[٩٩]، وقد ذكر في اللسان: مَلُؤ الرجل، يَمْلُؤ مَلاءة، فهو مليء. ثم قال: وقد أولع فيه الناس بترك الهمز وتشديد الياء.[١٠٠]

والمُثُل التي نقلنا – ومثلها كثير– تبيّن لنا ما حدث في الألفاظ من تغيّر في الضبط أو قلب حروف العلة، أو تسهيل الهمز، أو تغيير الصيغة – كلّ ذلك لأجل أن يكون التابع والمتبوع متناسبين وقعاً، مؤثرين معنى.

* * *

الإتباع والتوكيد:

عرفت العربية صُوراً مختلفة للتوكيد، وترجم النحويون لباب مستقل في مؤلفاتهم بـ"التوكيد" أو "التأكيد"، وجعلوه قسمين: معنوياً بألفاظ محدودة معروفة،

---

(٩٦) الإتباع ١٠٨.

(٩٧) المصدر السابق: ٥١.

(٩٨) الأمالي ٢/٢١٤، قال في القاموس أمر "والأصل مُؤْمَرَة، وإنما هو للازدواج أو لغيّة".

(٩٩) الإتباع ١٠٥.

(١٠٠) اللسان ملأ.

ولفظياً: وهو تكرار اللفظ بنفسه أو بمرادفه. قال ابن مالك: "وهو أن يعاد اللفظ بعينه مجرداً أو مقروناً بعاطف، إلا أن المقرون بعاطف مع اتّحاد اللفظ قلّما يكون إلّا جملة، كقوله تعالى: ﴿وما أدراك ما يوم الدين* ثمّ ما أدراك ما يوم الدين﴾[١٠١]، وكقوله: ﴿ أوْلَى لك فأولى* ثم أوْلى لك فأوْلى﴾[١٠٢]. ثم قال: "وأكثر وقوع التوكيد اللفظي بجملة".[١٠٣]

وقال السيوطي "والأجود مع الجملة إذا أكدت الفصل بينهما وبين المعادة بـ"ثم"... وهذا إذ لا لبس يحصل، فإن حصل لم يؤت بها."[١٠٤] وأجاز الرضي أن يكون العطف في التوكيد اللفظي بالفاء إضافة إلى الهمزة.[١٠٥]

وقد ربط بعض النحويين بين الإتباع والتوكيد، فذكر الرضي: "التأكيد اللفظي على ضربين: لأنك إمّا أن تعيد لفظ الأول بعينه نحو: جاءني زيد زيد، وجاءني جاءني زيد، أو تقويه بموازنة مع اتفاقهما في الحرف الأخير، ويسمى إتباعاً." [١٠٦] ونقل السيوطي: قال ابن الدهان في "الغرة" في باب التوكيد: منه قسم يسمى الإتباع نحو عطشان نشطان، وهو داخل في حكم التوكيد عند الأكثر، والدليل على ذلك كونه توكيداً للأول غير مبيّن معنى بنفسه عن نفسه، كأكتع وأبصع مع أجمع، فكما لا ينطق بأكتع بغير أجمع، فكذلك هذه الألفاظ مع ما قبلها، ولهذا المعنى كررت بعض حروفها في مثل حسن بسن، كما فعل بأكتع مع أجمع، ومن

---

(١٠١) سورة الانفطار ١٧، ١٨.

(١٠٢) سورة القيامة ٣٤، ٣٥.

(١٠٣) شرح الكافية الشافية ١١٨٣/٣، ١١٨٤، وينظر المساعد لابن عقيل ٣٩٩/٢، والتصريح للشيخ خالد ١٢٧/٢.

(١٠٤) همع الهوامع ١٧٥/٢.

(١٠٥) شرح الكافية ٣٣٣/١.

(١٠٦) المصدر نفسه.

جعلها قسماً على حدة حجته مفارقتها أكتع لجريانها على النكرة والمعرفة، بخلاف تلك وأنها غير مفتقرة إلى تأكيد قبلها بخلاف أكتع. قال: والذي عندي أن هذه الألفاظ تدخل في باب التأكيد بالتكرار... وقال قوم: هذه الألفاظ تسمّى تأكيداً وإتباعاً. وزعم قوم أن التأكيد غير الإتباع، واختلف في الفرق، فقال قوم: الإتباع منها ما لم يحسن فيه واو، نحو حسن بسن، وقبيح شقيح، والتأكيد يحسن فيه الواو نحو: حِلّ وبِلّ".(١٠٧)

ويظهر من كلام النحويين اشتراطهم أن يكون التوكيد اللفظي بلفظ المؤكد أو بمرادفه وأنه يجوز العطف بين المؤكّد والمؤكد إذا كان جملة بغير الواو.

أما ما رواه اللغويون من ألفاظ، وما نصوا على أنه من التوكيد – ليفرقوا بينه وبين الإتباع، وليقيدوا الإتباع– فمنه ما يتفق مع التوكيد النحوي:

قال الفراء: "يقال: رجل صيّاح تيّاح، قال: والتياح والصياح واحد."(١٠٨)

وقال أبو زيد: إنه لقليل حقير، وقيل، حَقِر، والحقير والحَقِر واحد: وهو الصغير، الذليل".(١٠٩)

ويقال: ضبّ سِبَحْل رِبَحْل: وكلاهما الطويل الضخم".(١١٠)

ويقال: "إنه لمضيع مشيع: إذا كان يضيع ماله ويشيعه في الناس."(١١١)

ويقال: "جاءنا واحداً فارداً، وهما واحد."(١١٢)

---

(١٠٧) المزهر ١/٤٢٤.

(١٠٨) الإتباع ٣٣.

(١٠٩) المصدر نفسه ٣٩.

(١١٠) المصدر نفسه ٤٩.

(١١١) المصدر نفسه ٦٠.

(١١٢) المصدر نفسه ٧٠.

وكلّ ما سبق توكيد نحوي، وهو يوافق تماماً ما اشترطه النحويون في التوكيد. ولكن كثيراً ممّا ورد في التوكيد اللغوي ليس موافقاً للتوكيد النحوي، إمّا لأن اللفظ الثاني – التابع أو المؤكد له معنى مختلف عن الأول، أو لوجود الواو بينهما:

ففي إتباع أبي الطيب ممّا عدّه توكيداً: "قرّ وله كصيص وأصيص وبصيص من الفزع، وكلّه بمعنى الصوت الضعيف."(١١٣)

ويقال "هو يحفّنا ويرفّنا: أي يعطينا ويميرنا"(١١٤)

ويقال: "بفية التراب والكُباب، والكباب هو التراب بعينه."(١١٥)

وممّا يختلف فيه معنى التابع قولهم: "ما له جرب وحَرِب، من الحَرَب."(١١٦)

ويقال: "إنه لَساغِب لاغِب، والساغب: الجائع، واللاغب: المعيي."(١١٧)

ويقولون: "رجل أيمان عيمان، والأيمان: الذي ماتت امرأته، والعيمان: الذي هلكت إبله فهو يعام إلى اللبن، أي يشتهيه."(١١٨)

ويقال: "ما له ثُلّ وغُلّ: إذا دعي عليه بالهلاك، فقولهم: ثُلّ من الثَّلَل: وهو الهلاك، وغُلّ من الغلة: وهو العطش."(١١٩)

ويقال: "بلد عريض أريض، فالعريض الواسع، والأريض الحسن النبات."(١٢٠)

---

(١١٣) – (١٢٠) ينظر الإتباع – الصفحات ٢١، ٤٨، ٧٤، ٣٨، ٨٠، ٦٤، ٦٩، ١٠، على التوالي.

وعبارات كثيرة صنفها المؤلف – أبو الطيب– في باب التوكيد لا يتوافر فيها ما تقدم من شروط التوكيد اللفظي كما عرضه علماء العربية، وقد رأيت أن المقصود هنا نوع آخر من التوكيد، وهو تقوية المعنى، ويضاف هذا إلى أساليب التوكيد الكثيرة المعروفة في العربية.

الإتباع والترادف:

الترادف في اللغة: دلالة أكثر من لفظ على معنى واحد، وبين علماء العربية خلاف: أتدّل الألفاظ المختلفة على الشيء الواحد باعتبار واحد أم باعتبارات مختلفة[١٢١]؟

وقد فرّق الباحثون بين الإتباع والترادف، فالمترادفان يفيدان فائدة واحدة من غير تفاوت، أما التابع فلا يفيد معنى وحده. [١٢٢]

قال ابن النجار: "ولا ترادف في نحو شَذَر مذر على الصحيح، لأنّ الذي بعد الأول تابع لا يفيد شيئاً غير التقوية، وشرط الترادف أن يفيد أحد المترادفين لو انفرد، لأنه مثل مرادفه في الرتبة." [١٢٣]

والذي عليه الألفاظ الإتباعية بمعناها الواسع – إتباعا أو توكيداً – يكشف وجود كثير من المرادفات عدّت إتباعا، وقد نقلنا أمثلة منها في الصفحات السابقة عند حديثنا عن التوكيد، وذلك أن يكون الثاني مرادفاً للأول.

والباب الذي عقده القالي للإتباع استند فيه إلى تقسيم التابع إلى قسمين: ما يكون فيه الثاني بمعنى الأول فيُؤتى به توكيدا، وضرب يكون فيه الثاني مخالفا للأول.

فمن ذلك: "أشِر أفِر، فالأشر: البَطِر المرح، وكذلك الأقر عند ابن الأعرابي".[١٢٤]

---

(١٢١) ينظر المزهر ٤٠٢/١ وما بعدها.

(١٢٢) ينظر المحصول ٣٤٨/١، والمزهر ٤٠٢/١.

(١٢٣) شرح الكوكب المنير ١٤٣/١.

ويقولون: "ضشيل، بئيل، فالبئيل هو الضئيل."[١٢٥]. ويقولون: "مضيع مسيع، والإساعة: الإضاعة"[١٢٦]

ويقولون ممّا أوردنا من الأمثلة وممّا في كتب الإتباع ومصادره تظهر لنا أن من ألفاظه ما جاء مرادفا لمتبوعه – سواء أعدّ ذلك من الإتباع أو التوكيد.

الإتباع والإبدال:

الإبدال في اصطلاح اللغويين: إقامة حرف مكان حرف في موضعه، أو اتفاق الكلمتين في جميع الحروف عدا حرفاً واحداً، مع تناسب المعنى بين اللفظين، كمدح ومده، وجثا وجذا، ويكثر أن يكون الحرفان المبدلان ممّا تقاربا صفة أو مخرجاً، وقد يقع الإبدال في غير المتقاربين.

وعلاقة المبحث بالإتباع أنّا وجدنا ألفاظاً ذكرها العلماء في الإتباع وهي ممّا يُعَد من الإبدال أو العكس:

وهذه نماذج لذلك نبدأها بما ذكر أبو الطيب في كتابه "الإبدال" – وهو أوسع كتب العربية في هذا الموضوع، ونجد الألفاظ أنفسها في كتابه الإتباع:

أورد المؤلف في إبداله: "رجل ضئيل بيّن الضآلة، وبئيل بين البآلة"[١٢٨]، واللفظ عينه مذكور في إتباعه، وذكره غيره من المؤلّفين[١٢٩]، وكونه من الإبدال بعيد لتباعد الضاد عن الباء مخرجاً ولاختلافهما صفات، ولكن لاتفاقهما معنى جعلا من الإبدال.

---

(١٢٤) الأمالي ٢/٢١٥.

(١٢٥) المصدر السابق ٢/٢١٤.

(١٢٦) المصدر السابق ١/٢١٥.

(١٢٧) ينظر كتابنا ظاهرة الإبدال اللغوي ١١ وما بعدها.

(١٢٨) الإبدال لأبي الطيب ١/١٣.

ومنه ما ذكر في الإبدال عن الفراء: "أَفْلَت وله بَصيص وكصيص"[١٣٠]، على أن الباء والكاف مبدل أحدهما من الآخر، وهو بعيد كسابقه، ثم إن المؤلف ذكره في كتابه الإتباع – قسم التوكيد.[١٣١]

وفي إبدال الذال والميم – على ما بينهما من اختلاف مخرجاً وصفات – ذكر المؤلف: "رجل مهذار، ورجل مهمار: إذا كان كثير الكلام، وهو يهذر في كلامه ويهمر"[١٣٢]، وفي الإتباع: "ويقال: إنه لَهذِر مَذِر. والهذر: الكثير الكلام."[١٣٣]

وفي الإبدال بين السين والهاء – وما أبعد حدوث ذلك – أورد أبو الطيب: "السَمَلّع والهَمَلّع: الذئب"[١٣٤]، وأورده في إتباعه من التوكيد، كما ذكره القالي في الإتباع.[١٣٥]

وفي إبدال السين والعين نقل أبو الطيب عن اللحياني: لا آتيك سجيس الدهر، وعجيس الدهر، أي آخر الدهر.[١٣٦] وأورده ابن فارس في الإتباع والمزاوجة عن الأصمعي، وقال: والعجيس: تأكيد وهو في معنى الآخر.[١٣٧]

ومما جاء في الإبدال لابن السكيت: عن الفراء: ذهب القوم شَذِر مِذَر، وشِذَر بِذَر، وشَذَر مَذَر: إذا تفرقّوا.[١٣٨] وهو ممّا يروى في الإتباع.[١٣٩]

---

(١٣٠) الإبدال ٣٤/١.

(١٣١) الإتباع ٢١.

(١٣٢) الإبدال ٢٦/٢.

(١٣٣) الإتباع ٨٦، والأمالي ٢١٥/٢.

(١٣٦) الإبدال ٢١٢/٢.

(١٣٧) الإبدال والمزاوجة ٤٩.

(١٣٨) القلب والإبدال ١٣.

(١٣٩) الإتباع ٨٧.

ونقل ابن السكيت في إبدال الباء والميم كسابقه: يقال: مَهلا وبَهلا في معنى واحد، وعن أبي عمرو أن مهلا وبهلا إتباع.[١٤٠]

وفي إبدال الهمزة والعين – وإبدالهما كثير في اللغة– "الفراء: يقال: يوم عَكّ، ويوم أك من الحَر.[١٤١] وهو في الإتباع[١٤٢] وكذلك: ذهب القوم عَباديد وأباديد، وعباديد أباديد[١٤٣] وهو ما أورده أبو الطيب في الإتباع.[١٤٤]

وهذه نماذج مما ورد في العربية مختلفاً فيه بين الإبدال والإتباع وتَتبُّع هذا البحث يُظهر كثيراً من الخلط بينهما، كما يبين عن التوسع الواضح في الإتباع، وأن علماء العربية حشروا في الإبدال ما ليس منه، وأن المصطلحات ليست واضحة المعالم تماماً.

من أمثلة الإتباع

نقدم هنا بعض العبارات الإتباعية، ونبين آراء العلماء فيها واختلافهم في تفسيرها فمن ذلك: هو في حِلٍّ وبِلٍّ "وللعلماء في هذه العبارة أقوال وآراء في تفسيرها: فقد سبق رأي أبي عبيد في إخراجها من الإتباع وعدّها جملة جديدة لمكان الواو، ونقل في الصحاح– بلّ كلام أبي عبيد، أما ابن فارس فاقتصر على القول: "وهو حِل وبِلّ أي مباح وذكرها أبو الطيب في قسم التوكيد من كتابه، وابن دريد جعلها إتباعاً يجوز أن يفرد[١٤٥].

---

(١٤٠) القلب والإبدال ١٦.

(١٤١) المصدر السابق ٢٣.

(١٤٢) الإتباع: ٨.

(١٤٣) القلب والإبدال ٢٣.

(١٤٤) الإتباع: ١١.

(١٤٥) ينظر: الجمهرة ٤٣٠/٣، والإتباع ٢٣ والإتباع والمزاوجة ٦٢ والصحاح – بل.

ومثل ما سبق قولهم: "حيّاك الله وبيّاك"، فممّا قيل في معنى بيّاك – ما سبق من إنكار الإتباع فيها عند أبي عبيد لأنها بالواو، وأما أبو الطيب فجعلها توكيداً، ولم يبين ابن فارس موقفه من العبارة وهي عند ابن دريد إتباع يجوز إفراده[١٤٦]

ويقولون: عريض أريض، فأبو الطيب يجعلها توكيداً، ويوردها القالي ويفسر الأريض بمعنى الخليق للخير الجيد للنبات. وابن فارس – كما يغلب على الكتاب– لا يذكر شيئاً عنها، أما ابن دريد فأدخلها في الإتباع الذي يفرد. وقال في الصحاح: وشيء أريض عريض إتباع له، وبعضهم يفرده ويقول: جدي أريض: أي سمين[١٤٧].

ومن الإتباع عند أبي الطيب: رجل حاذق باذق ومثله في الصحاح، وقال في الأمالي: فباذق يمكن أن يكون لغة في "باثق" كما قالوا: قَرَب حثحاث وحذحاذ،[١٤٨] ونبيثة ونبيذة: لتراب البئر، فكأن الأصل – والله أعلم– أن رجلاً سقى فأجاد وأكثر، فقيل: حاذق باذق أي حاذق بالسقي باثق للماء[١٤٩].

ومن ذلك ما جاء في الصحاح: "ورجل نادم سادم، ونَدْمان سدمان، ويقال: هو إتباع له." : "سادم نادم" وهو من التوكيد عند أبي الطيب: "نادم سادم."[١٥٠] وفي الأمالي: "ويقولون خَزْيان سوْآن" فسوآن مأخوذ من قولهم: سَوْأة سوآء: أي أمر قبيح...".

---

(١٤٦) ينظر الجمهرة ٤٣٠/٣، والإتباع ٢٤ والإتباع والمزاوجة ٦٩.

(١٤٧) الجمهرة ٤٣٠/٣ والأمالي ٢١٢/٢ والإتباع ١٠ والإتباع والمزاوجة ٥٢.

(١٤٨) القرب: سير الليل، والحذحاذ: السريع.

(١٤٩) الإتباع ٢٠ والأمالي ٢١٧/٢، والصحاح حذق.

(١٥٠) الإتباع ٥٤ والأمالي ٢١٨/٢ والصحاح – سدم.

وهو في الجمهرة من الإتباع الذي لا يفرد، على أنه من التوكيد عن أبي الطيب. (١٥١)

ومن الإتباع عند أبي الطيب: مائق دائق من قولهم: رجل مدوّق أي محمّق، والدُّوق: الحمق، وكذلك المؤق، ويقال ماق الرجل، يموق موقاً. ثم قال: ولا يتكلم بالدائق مفرداً. ويقال: إنه ليموق مواقة، ومؤوقاً، وداق يدوق دَواقة ودَؤوقاً أيضاً. وقال ابن فارس: هو مائث دائق- إتباع".

وهو في الجمهرة مما لا يفرد(١٥٢)

ونختم هذه الأمثلة بما نقل أبو الطيب في الإتباع: ويقال: إنه لخاسر دابر، وخَسِر ودَبِرٌ، وما له خَسِرَ وَدَبِرَ. ثم قال: في باب التوكيد: أنه لخاسر دامر، الدامر: الهالك... وإنه لَخَسِرٌ دَمِر، فإذا قلت: خاسر دابر بالباء فلا وجه له إلا أن يكون إتباعاً، أو تكون الباء مبدلة من الميم(١٥٣).

وبعد، فهذا فنّ من فنون العربية، وباب من أبوابها الطريفة، استعمله فصحاء العرب توكيداً للكلام وتزييناً، وقد أوجزنا الحديث فيه، وعمّا يتعلّق به من المباحث اللغوية، آملين أن نكون قد وُفقنا فيما قصدنا، نسأل الله المزيد من فضله، والواسع من غفره وعفوه.

والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين

---

(١٥١) الجمهرة ٤٢٩/٣، والإتباع ٥٢ والأمالي: ط/٢١٢.

(١٥٢) الجمهرة/ ٤٣٠، والإتباع ٤٢ والأمالي ٢١٥/٢ والإتباع والمزاوجة ٥٩.

(١٥٣) الإتباع ٤٣-٤٥، وينظر: الأمالي ٢١٨/٢ والإتباع والمزاوجة ٤٥.

مراجع البحث

القرآن الكريم.

- الإبدال – لأبي الطيب اللغوي الحلبي – تحقيق عز الدين التنوخي– مجمع اللغة العربية – دمشق ١٣٨٠هـ.
- الإتباع – لأبي الطيب اللغوي – تحقيق عز الدين التنوخي – مجمع اللغة العربية – دمشق ١٣٨٠هـ.
- الإتباع والمزاوجة لأحمد بن فارس بعناية كمال مصطفى – مطبعة الخانجي– القاهرة ١٩٤٧م.

ونسخة مخطوطة عن تشستربيتي ٤٦٢٤.

- الأمالي – لثعلب أحمد بن يحيى، تحقيق عبدالسلام هارون– مكتبة المعارف– القاهرة ١٩٤٨م.
- الأمالي – لأبي علي القالي – مطبعة بولاق – القاهرة ١٣٢٤هـ.
- جمهرة اللغة – لابن دريد – دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن – الهند – ١٣٤٥هـ.
- الزاهر في معاني كلمات الناس – لأبي بكر بن الأنباري– تحقيق د. حاتم صالح الضامن – دار الرشيد – بغداد ١٣٩٩هـ.
- سير أعلام النبلاء – للذهبي، الجزء الثامن – تحقيق نذير حمدان – مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ.
- شرح الكافية – للرضي الأستراباذي– مصورة عن طبعة الآستانة ١٢٧٥هـ.
- شرح الكافية الشافية – لابن مالك – تحقيق د. عبدالمنعم هريدي، مركز البحث العلمي. جامعة أم القرى – مكة المكرمة ١٤٠٢هـ.

- شرح الكوكب المنير في أصول الفقه – لابن النجار – تحقيق د. محمد الزحيلي، و د. حماد. مركز البحث العلمي – مكة ١٤٠٠هـ.
- الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس – تحقيق السيد أحمد صقر – مكتبة عيسى الحلبي – القاهرة ١٩٧٧م.
- الصحاح – للجوهري – تحقيق أحمد عبدالغفور عطار – دار العلم للملايين – بيروت ١٣٩٩هـ.
- ظاهرة الإبدال اللغوي، د. علي حسين البواب، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٤هـ.
- العين للخليل بن أحمد، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، و د. مهدي المخزومي، دار الرشيد، بغداد ١٩٨١م وما بعدها.
- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام – دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن – الهند ١٣٨٤هـ.
- الغريب المصنف، لأبي عبيد القاسم بن سلام، مخطوطة مصورة، جامعة الإمام، ف٣٢٤.
- الفاخر، للمفضل بن عاصم، تحقيق عبدالعليم الطحاوي، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠م.
- الفهرست، لابن النديم، تحقيق رضا تجدد، المكتبة الأسدية، طهران ١٩٧١م.
- القاموس المحيط، للفيروزأبادي، المطبعة المصرية، القاهرة ١٩٣٥م.
- القلب والإبدال، لابن السكيت (ضمن الكنز اللغوي) تحقيق أوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٠٣م.
- الكتاب، لسيبويه، بولاق، ١٣١٦هـ.
- لسان العرب، لابن منظور، دار لسان العرب، بيروت.

- المحصول في أصول الفقه، لفخر الدين الرازي، تحقيق د. طه جابر العلواني، مطبوعات جامعة الإمام، الرياض، ١٣٩٩هـ.
- المخصص، لابن سيده الأندلسي، المكتب التجاري، بيروت.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد الله وزميله، مطبعة الحلبي، القاهرة ١٩٥٨م.
- المفردات، للراغب الأصفهاني، تحقيق محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٧٠م.
- مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٢م.
- همع الهوامع، للسيوطي، دار المعرفة، بيروت.